المنظمة العربية للتنمية الإدارية
جامعة الدول العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

المنظمة العربية للتنمية الإدارية
جامعة الدول العربية
بالتعاون مع
معهد المخطوطات العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ملتقى التجارب والممارسات الإدارية الناجحة لعام 2022

تحت عنوان

"إدارة المؤسسات التراثية"

(8- 9) ذو القعدة 1443هـ - (7 – 8) يونيو 2022م

جهود مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي في فهرسة المخطوطات وبناء قواعد البيانات

سعادة الدكتور / محمد كامل جاد

مدير عام مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي

دولة الإمارات العربية المتحدة

يعد مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث أحد المراكز الكبرى في العالم الإسلامي التي اضطلعت بالعناية بالمخطوطات المنتشرة في مكتبات العالم أجمع، لاسيما في وسط وغرب أفريقيا وشرق وجنوب آسيا، ترميمًا وتصويرًا، وهذا نتج عنه جمع كمٍ كبيرٍ من صور المخطوطات، (وصل العدد إلى 1,081,000 مخطوط في 837,255 مجلد) أغلبها من مكتبات لمَّا تُفهرس بها المخطوطات بعد. وهذا تطلَّب تطوير وسائل العمل التقليدية، وقواعد البيانات؛ لمحاولة إنجاز فهرسة هذا الكم الكبير، لاسيما وأن فهرسة المخطوطات هي من العمليات المشكلة في العديد من المكتبات الكبرى التي تحتوي كمًّا كبيرًا، إذ تتطلب جهودًا فنية وبشرية كبيرة، وميزانيات مالية هائلة، تكون سببًا في كثير من الأحيان في توقفها.

وفي هذه الورقة نستعرض الإجراءات الفنية والتقنية التي اتبعها المركز خلال السنوات الخمس عشر الأخيرة لإنجاز فهرسة مثل هذا الكم، وذلك في المحاور الآتية:

1- المنهج الفني للفهرسة:

أثبتت التجربة على امتداد سنوات عدة أن أولى الخطوات المهمة في إحكام عملية الفهرسة في المؤسسات الكبرى، من حيث الكيف والكم معًا، هي صياغة منهج محكم للفهرسة، وفق قواعد محددة لكل عنصر من عناصرها، يُضَعُ في ضوء المعايير المتفق عليها بين أهل الصناعة منذ بدايتها إلى العصر الحالي، فضلًا عن تحديد الإجراءات المتبعة في عملية الفهرسة، وكذلك القوالب والصيغ، وأن تتولى رسم هذا المنهج لجنة فنية ذات مستوى عالٍ في تخصص الفهرسة من الجانب العملي، لديها إلمام تام بكل البحوث والجهود العلمية الأكاديمية في هذا المجال.

هذا المنهج سيحقق عدد من الفوائد منها:

أ- توحيد العمل.

ب- تقنين الاجتهادات الفردية لفريق العمل لا سيما إن كان كبير العدد.

ج -الحدُّ من التشعب، والانغماس في قضايا خارج إطار البنود المحددة.

د- إحكام العمل الفردي.

هـ- وجود معايير فنية محددة يمكن تقييم عمل باحث الفهرسة في ضوئها، ومن ثم وضع خطط التطوير والتدريب وفقًا لنتائج هذا التقييم.

و- الإنجاز الكمي دون التخلي عن الدقة الفنية. 7- يكون هذا المنهج هو العنوان الفني للمؤسسة.

2- المعيار الإداري، ودائرة العمل:

أكدت تجربة المركز أنه كما أن إحكام المنهج الفني مهمٌ لعملية فهرسة المخطوطات، فإن وجود معيار إداري لدائرة عمل محددة، مهم جدًا في لإنجاز فهرسة المخطوطات داخل المؤسسات الكبرى بدقة، ولابد أن يكون وضع هذا المعيار في ضوء المنهج الفني للفهرسة الذي وُضِعَ. فمعلوم أن العمل الفهرسي عمل بحثي في جوهره، ويتقاطع مع أعمال بحثية أخرى، وغالبًا يتشعب العمل فيه على باحث الفهرسة، فضلًا عن أن عملية فهرسة المخطوطات فيها نسبة من المخطوطات المشكلة، لهذا يصعب على كثير من المؤسسات وضع بعد زمني محدد لفهرسة المخطوط، أو حتى متوسط زمني، تستطيع الإدارة في ضوئها وضع دراسة زمنية للإنجاز أو اقتصادية للتكلفة.

ومن هنا تبدو ضرورة وضع ضابط إداري لدائرة العمل في فهرسة المخطوطات، ونقاط التقييم فيها، ويتدرج عبر ثلاث مراحل: 1- مرحلة الفهرسة. 2- مرحلة المراجعة. 3 – مرحلة التدقيق.

ويُراعى تدرج الباحثون فيها وفقًا لخبراتهم العملية. يقوم باحث الفهرسة بتطبيق المنهج الفني، الذي سبق اعتماده، في فهرسته للمخطوط، و إنجاز فهرسة المخطوط في الإطار الزمني المناسب له، ويقوم باحث مرحلة المراجعة بمراجعة فهرسة المخطوط من الناحية الفنية، وتحديد الأخطاء وفقًا للنظام الإداري الذي اعتمد، متبعًا نظام النقاط السلبية (black points)، وتطبيقه على المستويين: الفني، والزمني:

أ-على المستوى الفني يكون نظام النقاط السلبية متدرجًا بين العناصر التي على مستوى العنون: مثل العنوان، المؤلف، تاريخ التأليف، الموضوع، التوثيق.... إضافة إلى الناسخ، تاريخ النسخ ومكانه)، والتي على مستوى النسخة. مقدمة، خاتمة، سماعات وتملكات ووقفيات وإجازات، عدد الأوراق...). نقطتان للخطأ في عناصر الأول، ونقطة للخطأ في عناصر الثاني. (شريطة أن تكون الأخطاء جوهرية وليست بسيطة. (مع ضرورة تحديد هوية الجوهري والبسيط في النظام الموضوع لتكون معلومة للجميع).

ب-على المستوى الزمني. سبق أن أكدنا أن عملية فهرسة المخطوط في المرحلة الأولى (مرحلة الفهرسة) تتم في ضوء الوقت الزمني المناسب لها وفق المنهج الفني المعد، وفي المرحلة الثانية (مرحلة المراجعة) يُقَدَّرُ البعد الزمني المناسب لها وفقًا للمخطوط الذي فُهرس، والعمل الفهرسي الذي أُنجز، ويستند المراجع في هذا التقدير إلى خبرته، ويقوم في هذه المرحلة بتقييد نقاط سلبية لكل وحدة زمنية زائدة عن الزمن المقدر(نقطة لكل عشر دقائق زائدة مثلًا).

ويقوم المدقق في المرحلة الثالثة (مرحلة التدقيق) بنفس العمل ولكن على المراجع.

ويجب أن يكون النظام الإلكتروني مهيأً لتطبيق هذه المراحل، وضرورة تطوير دائرة عمله ليساعد في تطبيقها إن لم يكن مهيأً لها. لكون المراحل الثلاثة ستتم وفق دائرة عمل النظام الفهرسي الإلكتروني، وصعوبة تطبيقه على الفِرَق الكبيرة بدونه.

فائدة النظام الإداري لدائرة العمل:

يجب أن نتأكد أنه ليس الهدف من هذا النظام تصيد الأخطاء لعناصر العمل الفهرسي، أو ما يليها من مراحل، أو إثبات حجج أو تبريرات، و إنما الهدف منه تحقيق معايير خمسة:

أ- الإنجاز، وستكون نتيجته ظاهرة عند تطبيق المعايير الزمنية.

ب- الجودة الفنية، فهو الضامن للدقة الفنية.

ج- سبيل مهم لتطوير فريق العمل، فمن خلال نظام النقاط الفنية ستتعرف الإدارة بوضوح على أوجه القصور الفنية عند أي مفهرس من المفهرسين، فعلى سبيل المثال إن اتضح من نظام النقاط الفنية لمفهرس معين أن أكثرها يرتكز على حقل العنوان مثلاً، فيكون هذا مرشدًا للمفهرس وللإدارة معًا إلى مدى حاجته إلى مزيد من تطوير والتدريب في هذا العنصر الفني. ومن ثم توجيه كل عناصر المنظومة إلى تركيز التدريب الفني نحو عناصر القصور دون غيرها، ومن ثم يكون التطوير والتدريب مفيدًا ومؤثرًا، و إيجابيًا، وفي اتجاه تطوير العمل والمؤسسة. وكذلك الأمر في نظام النقاط الزمنية.

(باختصار: التعرف على أوجه القصور في المنظومة بصورة محددة، وليس تقديريًّا) والتوجيه نحو معالجتها).

د- تقنين الوقت المهدر.

هـ .عدل التقييم بين عناصر المنظومة.

3- العنصر البشري، وتطويره:

من تجربة الفهرسة في مركز جمعة الماجد على مدار نحو 25 عامًا وجد أن اختيار العناصر البشرية العاملة في مجال فهرسة المخطوطات، هو ثاني أهم عنصر من عناصر تلك المنظومة بعد وضع المنهج الفني، ووضع برامج التدريب والتطوير لها (وفق المعيارين السابقين: الفني، والإداري) أمر بالغ الأهمية. ولشيوع أعمال فهرسة المخطوطات بين المكتبات، وعدم وجود جامعات تدرس تخصص المكتبات في عدد من البلدان العربية، فقد عمل بالفهرسة أهل التخصصات المعرفية كلها تقريبًا، وهذا لم يكن في صالح هذه العملية، ومن خلال تجربة طويلة وبعد إلمام دقيق ببنية المخطوط الإسلامي في مركز جمعة الماجد، وجدنا أن فهرسة المخطوطات تحديدًا الأنجح لها أهل تخصصات اللغة العربية والعلوم الشرعية أكثر من غيرهم، وكلاهما بينهما تماس وتواصل؛ لأنهم الأقدر على التعامل مع لغة المخطوط المشكلة أحيانًا، والأقدر على تحديد الروايات، والمذاهب، وغيرها بإحكام وفي وقت قصير، وكتابه مقدمات المخطوطات المنظومات الشعرية ونهايتها، وتحديد موضع المخطوط بدقة، وغير ذلك. ويصعب على غيرهم، إلا من كانت لديه ثقافة اللغة والشريعة. وكذلك لديها القدرة على التعامل بصورة جيدة جدًا مع المخطوطات في العلوم المختلفة، وهذا راجع إلى طبيعة المخطوطات نفسها وطبيعة العمل الفهرسي تحديدًا، فنصفها مثلاً في التخصصات اللغوية والشرعية والحديثية، دقيق وهذا مما يصعب على غير أهلها التعامل معها بدقة. أما النصف الآخر في التخصصات الأخرى المعرفية والعلمية والتطبيقية فهي ظاهرة جلية (فهرسيًا) لجل أهل المعرفة.

والشاهد أن اختيار العنصر البشري، والتخصص المناسب عامل مؤثر في منظومة فهرسة المخطوطات كلها.

4- تطوير النظم التقنية وقواعد البيانات:

قواعد البيانات في المؤسسات التي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات ركيزة أساسية، وهي النافذة الوحيدة للمفهرس والمستفيد على السواء، إذ يتعسر العمل فيها بصورة ورقي، أو إصدار فهارس لكم هائل

من المخطوطات. وقد رأى المركز أن تطوير النظام الآلي للفهرسة بما يخدم دقة وتدفق العمل أمر بالغ الأهمية، فعمل على تطويره على ثلاثة أبعاد:

الأول: بناؤه باتساع يخدم كل باحث في المخطوط العربي وعلومه، وليس فقط بما يخدم تحقيق النص.

الثاني: تطويره بما يسهم في البعد الفني والزمني للفهرسة، لا سيما في العناصر المشتركة بين نسخ كل كتاب، مثل: العنوان، المؤلف، الموضوع، مصادر التوثيق... فيكون الضامن لتوحيد بيانات نسخ العنوان الواحد، وتوفير الوقت، إذ إن هذه العناصر هي عناصر توثيقية بحثية تحتاج إلى وقت ومراجع وشواهد بحثية، وتستغرق البعد الزمني الأكبر من الفهرسة، في مقابل العناصر النقلية التي تتعلق بالنسخة موضوع الفهرسة (تاريخ النسخ، الناسخ، السماعات والإجازات والقراءات، والوقفيات والتملكات ...).

الثالث: الربط الآلي بين بيانات التسجيلة الفهرسية والصورة الرقمية للنسخة المخطوطة.

مما سبق في ضوء تجربة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي نخلص إلى القول بإن مراعاة هذه الأبعاد الأربعة في منظومة فهرسة المخطوطات، يضمن حلولًا لكثير من إشكالياتها، وهو ضامن كبير لدقتها بمستوى عالٍ، وتدفقها بمرات أسرع من ذي قبل بما يكفل عدم تكدسها وسرعة وسهولة استفادة الباحثين منها. ويمكن إدارة المؤسسة من وضع خطط العمل بإبعاد زمنية و اقتصادية بدقة شديدة. ويسهم دائمًا في تطوير كل عناصر المنظومة وتدريبها واستكمال نو اقصها صعودًا إلى مستوى راقٍ جدًا. وهي العناصر الأساسية للمؤسسات والإدارات المحترفة المتقدمة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.